(من كتاب الحجِّ وروح العبادة فيه)

(١٨)

الحجُّ وعبودية الدعاء

تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفضّل اللهُ على عباده بفتح باب الدعاء لهم، ورغّبهم في المسألة ووعدهم بالإجابة، وبيّن لهم ثمرات الدعاء التي لا منتهى لها، ومن مواطن عبادة الدعاء: الحجّ ومناسكه.

والدعاء بذاته عبادة عظيمة، وهو من أشرف مقامات العبد، فلو لم تكن فيه إجابة للسائلين -وهذا محالٌ- فإنَّه عبادةٌ كريمة، موجِبة لرضوان الله عن عبده، ففيه من العبوديات الشيء الكثير، إذ فيه تحقيق التوحيد، والاعتراف بالحاجة لله، وإظهار الفقر إليه، واليقين بملكه لكل شيء، وأنّ كل عطاء منه، وكل فضل بيده، وكل نعمة هو موليها، وكل خير هو من يأتي به، وكل شر هو من يدفعه، وفيه إظهار الفقر والحاجة لله، والاعتراف بفضله، واليقين بكرمه، والإيمان بسعة سمعه وبصره وإحاطته، والثقة بكثرة عطائه، وكمال صفاته، فهو يسمع الداعين على كثرتهم

وكثرة دعواتهم، واختلاف ألسنتهم ولغاتهم، وتعدّد مطالبهم وحاجاتهم، وكماله بمعرفة استحقاقهم للإجابة، وإحاطته بنيّاتهم وقصدهم واستحقاقهم، فالعيش مع هذه الصفات يجعل الداعي يتلذّذ به، ويزداد يقينه بعظمة ربه، وإحياء هذه العبادات في القلب عند السؤال، من أنفع ما يكون للداعي، ومن أعظم أسباب الإجابة، وهذا ما ينبغي للداعي ملاحظته عند دعائه.

والحجُّ ومواطن العبادة فيه فرصة عظيمة للإكثار من الدعاء، واغتنام أسباب الإجابة ومظانّها، فالحجّاجُ وفد الله الموعودون بإجابة دعائهم، والله لا يُخلف وعده، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **"الغازي في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والحاجُّ، والمعتمِرُ وفْدُ اللهِ، دعاهم فأجابوهُ، وسألُوهُ فأعطاهم"**(١).

فلذا ينبغي للحاجّ أن يعتني بشأن الدعاء، ويجعله في كلِّ منسك من مناسك حجّه، ويستعدّ له بحفظ ما ورد في القرآن والسُنّة، فدعوات الكتاب والسُنّة من أجمع الدعوات وأنفعها، فيحفظ الحاجُّ ما استطاع حفظه منهما، أو يقتني كُتب الأدعية

(١) رواه ابنُ ماجه، وهو في صحيح الجامع.

ويجعلها في دعائه، وكذلك الدعاء بما شاء من حوائجّه الخاصّة.

ويغتنم رقة القلب إذا أقبلت، ودمعة العين إذا سالت، ورجاء القلب إذا عظُم، ويدعو لنفسه ولغيره، فإنّ من دعا لغيره بُشّرَ بتأمين الملَك ودعائه له.

وهناك ستةُ مواطن في الحجِّ على الخصوص، ينبغي للحاجِّ اغتنامها في الدعاء، وهي: (على الصفا، وعلى المروة، ويوم عرفة، وفي مزدلفة، وعند الجمرة الصغرى، والجمرة الوسطى بعد رميهما)

يقول لي أحد الفضلاء: إذا رافقنا الشيخ -وذكر اسمه- في العمرة تعجّبنا من طول دعائه على الصفا والمروة، فربما بقي نصف ساعة يدعو على الصفا، وكذا على المروة في كلِّ شوط.

قلت: هذا يدلّ دلالة واضحة أنّه ما زال في زماننا عُبّادٌ قد تعلقت قلوبهم بربهم.

وتقولُ إحدى الأمهات لولدها: يا بُنيَّ، ادع الله عند الصفا؛ فإنّي ما دعوتُ الله عند الصفا بدعوات إلا استجاب الله لي.

أمَّا الدعاء في عرفة، فهو خير الدعاء بمنطوق حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **"خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير"**(١).

فينبغي العناية به والتفرّغ له، والحرص على كل دقيقة من دقائق هذا اليوم المشهود، وقد تقدَّم الحديث عن يوم عرفة والدعاء فيه.

وكذلك في مزدلفة، خصوصًا بعد صلاة الفجر حتى تُسفر الشمس؛ فهو من مواطن الإجابة، فكم استُجيبت فيه من مطالب وخيرات، وصُرفت فيه من شرورٍ وفتنٍ.

وكذلك عند رمي الجمرة الوسطى والصغرى أيّام التشريق، فلا تستعجل أيّها الحاجُّ، وابقَ قدر استطاعتك، فيوشك أن ينتهي حجُّك، وتنقضي هذه الأيَّام المباركة، وتُغادر هذه المواطن المشهودة، وأيقن بإجابة دعائك؛ فأنت تدعو الكريم، يقول أحدُهم: دعوتُ الله عند الجمِرات بدعوة، ووالله لم ينته شهر ذي

(١) رواه الترمذي، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب.

الحجة إلا تحقّقت.

ويقول أحد الإخوة: دعوت الله عند الجمرة الصغرى والوسطى بدعواتٍ أعلم يقينًا أنّ الله أجابها لي، وشواهد الإجابات أكثر مِنْ أن تُحصر.

ومن مواطن الدعاء كما ذكر أهل العلم الطواف والسعي، وتقدّم ذكر الآثار فيها، خصوصًا الدعاء بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[1]. فيقولها بقلبٍ حاضر، فهي من أجمع الدعوات لخيري الدنيا والآخرة.

وصلاتك موطن من مواطن الإجابة، وآخر الليل وساعات السَحَر، فكم كانت هذه الدعوات سببًا للمغفرة، وتيسيرًا الرزق، وقبولًا التوبة، وقضاء الحوائج، فحريٌّ بالحاجِّ أن يعتنيَ بشأن الدعاء، وأن يلزمه طَوَالَ أَيَّام حجِّه، ولعل الحجّ ممّا يُحيي في النفس كثرتَه والإطالةَ فيه، والتلذُّذَ بالمناجاة، واغتنامَ هذا الفضل من الرحمن.

(١) [سورة البقرة: آية ٢٠١].

وعبودية الدعاء في الحجِّ أظهر ما تكون في إخلاص الدعاء لله، والتوجّه له بالقصد، والبعد عن الشرك بجميع أنواعه وصوره، فعلى الحاجِّ ألا يتوجَّه في دعائه إلا إلى ربه، وألا يلتفت بقلبه للمخلوقين، فإنّهم لا يملكون له ضرًّا ولا نفعًا، وأن يكون متأسِّيًا بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه، فقد كان يدعو خاشعًا خاضعًا، مفتقرًا لربه، مظهرًا حاجته وفاقته لمولاه.

ولْيحذرْ من التعدي في دعائه، ولْيستحضر عفوَهُ عمّن ظلمه، ونصيحته للعامَّة والخاصَّة، وحُبَّه الخير لجميع المسلمين، وأن ينالوا ما ينال من الخير، ويندفع عنهم ما يندفع عنه من الشرور، فهذه العبادات القلبية ساعة الدعاء عند الله بمكان، ولعلها بإذن الله من أسباب إجابة الدعاء.

إنَّ كثيرًا من المسلمين بشكل عام قد فرَّطوا في شأن الدعاء، ولم يعتنوا به العناية اللائقة به، ولهذا إذا دعا أحدُهم فإنَّه يدعو على عُجالة، وهذا ما تراه عند كثير من الحُجّاج، فتراه حتى وهو في عرفة لا يدعو إلا قليلاً، وهذا لا شك أنَّه تفريطٌ ظاهر، وحرمان للنفس بَيِّنٌ، فالدعاء باب قد فتحه الله لعبده فلا يغلقه على نفسه

بالغفلة وعدم العناية بشأنه.

ولْيحذرِ الداعي أن يدعوَ بقلبٍ لاهٍ، أو يسْتحسرَ ويتركَ الدعاء لتأخّر الإجابة، فكلُّ هذا من الأخطاء في الدعاء، فميقات إجابة الدعاء لله وحده، والله هو الأعلم بالأنفع لعبده، ففوِّضْ أمر الإجابة إلى ربك.

وينبغي للداعي أن يُراعي آداب الدعاء، ويأتي بأسباب الإجابة، **ومنها:** حضور القلب، والبعد عن الغفلة أثناء الدعاء.

ومنها: حسن الظنّ بالله واليقين بإجابته.

ومنها: الثناء على الله قبل البدء به، والتوسل بأسمائه بما يناسب كل دعوة، فتقول: يا رحيم ارحمني، يا رزّاق ارزقني، يا عليم علّمني... وهكذا، ويحرص على تكرار الثناء على الله، فالقلب عند الثناء يخشع ويخضع ويكون أقرب للإجابة.

ومن آدابه: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوّل الدعاء وآخره.

ومن آدابه: تكرار المسألة، والإلحاح فيها.

وهنا أشير إلى مسألة مهمة في قضية الدعاء، وهي: أنَّ إجابات الله لدعـوات عباده تتنـوّع، فتارة تقـع عينُها كما دعـى صاحبُها، وتارة تتأخّر لحكمة يفوت السائلَ معرفتها، وتارة تقع ولكن بغير المطلـوب، وتارة تكون صَرفًا لشـرٍّ عنه، وتارة يدَّخرها للسـائل ليجدَهـا أحـوج ما يكـون يـوم القيامـة، فالفضل للدعـاء ثابت، والعطـاء مـن الله واقـع لا محالة، ولكنّـه عليم حكيـم، أعلم بما يصلح لعبده، وبما هو أنفع له.

❊❊❊